والجامدة : الساكنة قاله أبن عباس . وفي الكشاف : الجامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح يعني أنه جمود مجازي كثر استعمال هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة . والصنع قال الراغب : إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا قال تعالى (ويصنع الفلك) (وعلمناه صنعة لبوس لكم) يقال للحاذق المجيد : صنع وللحذاقة المجيدة : صناع اه . وقصر في تفسير الصنع الجوهري وصاحب اللسان وصاحب القاموس واستدراكه في تاج العروس . قلت : وأما قوله : بئس ما صنعت فهو على معنى التخطئة لمن ظن أنه فعل فعلا حسنا ولم يتفطن لقبحه . فالصنع إذا أطلق انصراف للعمل الجيد النافع وإذا أريد غير ذلك وجب تقييده على أنه قليل أو تهكم أو مشاكلة .

A E واعلم أن الصنع يطلق على المتقن العلم في الخير أو الشر قال تعالى (ما تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر) ووصف ا ب (الذي أتقن كل شيء) تعميم قصد به التذليل أي ما هذا الصنع العجيب إلا مماثلا لأمثاله من الصنائع الإلهية الدقيقة الصنع . وهذا يقتضي أن تسيير الجبال نظام متقن وأنه من نوع التكوين والخلق واستدامة النظام وليس من الخرم والتفكيك .

وجملة (إنه خبير بما تفعلون) تذييل أو اعتراض في آخر الكلام للتذكير والوعظ والتحذير عقب قوله (الذي أتقن كل شيء) لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فليحذروا أن يخالفوا عن أمره .

ثم جيء لتفصيل هذا بقوله (من جاء بالحسنة) الآية فكان من التخلص والعود إلى ما يحصل يوم ينفخ في الصور ومن جعلوا أمر الجبال من أحداث يوم الحشر جعلوا جملة (إنه خبير بما تفعلون) استئنافا بيانيا لجواب سائل : فماذا يكون بعد النفخ والفزع والحضور بين يدي ا وتسيير الجبال فأجيب جوابا إجماليا بأن ا عليم بأفعال الناس ثم فصل بقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها . .) الآية .

وقرأ الجمهور (بما تفعلون) بتاء الخطاب . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يفعلون) بياء الغائبين عائدا ضميره على (من في السماوات ومن في الأرض) .

(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون [89] ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) هذه الجملة بيان ناشئ عن قوله (ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء ا) لأن الفزع مقتض الحشر والحور للحساب . و (من) في كلتا الجملتين شرطية .

والمجيء مستعمل في حقيقته . والباء في (بالحسنة) و (بالسيئة) للمصاحبة المجازية ومعناها : أنه ذو الحسنة أو ذو السيئة . وليس هذا كقوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) في آخر الأنعام . فالمعنى هنا : من يجيء يومئذ وهو من فاعلي الحسنة ومن جاء وهو من أهل السيئة فالمجيء ناظر إلى قوله (وكل أتوه داخرين) والحسنة والسيئة هنا للجنس وهو يحمل على أكمل أفراده في المقام الخطابي أي من تمحضت حالته للحسنات أو كانت غالب أحواله كما يقتضيه قوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) وكذلك الذي كانت حالته متمحضة للسيئات أو غالبة عليه كما اقتضاه قوله (فكبت وجوههم في النار) .

و (خير منها) اسم تفضيل اتصلت به (من) التفضيلية أي فله جزاء خير من حسنة واحدة لقوله تعالى في الآية الأخرى (فله عشر أمثالها) أو خير منها شرفا لأن الحسنة من فعل العبد والجزاء عليها من عطاء ا .

وقوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) تبيين قوله آنفا (إلا من شاء ا) وهؤلاء هم الذين كانوا أهل الحسنات أي تمحضوا لها أو غلبت على سيئاتهم غلبة عظيمة بحيث كانت سيئاتهم من النوع المغفور بالحسنات أو المدحوض بالتوبة ورد المظالم . وكذلك قوله (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار) أي غلبت سيئاتهم وغطت على حسناتهم أو تمحضوا للسيئات بأن كانوا غير مؤمنين أو كانوا من المؤمنين أهل الجرائم والشقاء . وبين أهل هاتين الحالتين أصناف كثيرة في درجات الثواب ودرجات العقاب . وجماع أمرها أن الحسنة لها أثرها يومئذ عاجلا أو بالأخارة وأن السيئة لها أثرها السيء بمقدارها ومقدار ما معها من أمثالها وما يكافئها من الحسنات أضدادها (فلا تظلم نفس شيئا)